فضل الثنائية على المعجمية

تمهيد

يلقبني بعض شيوخ اللغة ـ المحبين المذاهب القديمة ـ « داعية الثنائية » فأنا راض بهذا اللقب لأني بالحقيقة من الدعاة الى هذه النظرية ، ومن الساعين في إثبات صحتها ، ولا أزال على منهجي هذا حتى أصل الى غايتي من هذا البحث ، وها أنذا باسط في ذا المقال طائفة من النماذج طبقاً لطريقة بحث المواد في معجمي الثنائي ، وذلك زيادة في تعزيز نظرية « الثنائية » ، وتبياناً لجزيل فضلها ، وفائق تفوقها على نظرية « الثلاثية » القديمة ، وعميم فائدتها المعجمية العربية .

آ ـ عَسَل

عَسلَ الطعامَ : عمله وخلطه . و ـ من طعامه : ذاقه . و ـ القومَ : زوّدهم العسلَ وأطعمهم اياه . و ـ فلاناً : طيبَّ الثناء عليه . و ـ اللهُ فلاناً الى الناس : حبَّبه اليهم . و ـ الذئبُ أو الفرسُ : هزَّ رأسه واضطرب في عدو . و ـ الرمحُ : اشتد اهتزازه . و ـ الطريقَ (في الطريق) الثعلبُ : سار . و ـ الدليلُ في المفازة : اسرع . كذب عليك العسلُ : أسرع في المشي . و ـ الماءُ : اضطرب بتحريك الريح . ـ عسَّل : صار كالعسل . و ـ النحلُ عملت العسل . واستعسل القومُ : استوهبوا العسَل . والعاسل : شتار العسل . و ـ الذئب . و ـ ذو العمل الصالح . ورمحٌ عاسل : يهتز ليناً . ومكانٌ عاسل : فيه عسَل . والعسّالة : النحلة . و ـ خليتها . والعَسْل : الناقة السريعة . وعَسْلاً لك : تعساً . والعسِل : الرجل الشديد الضرب . ـ العَسل :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لعاب النحل . و — حَبَاب الماء اذا جرى . والعَسُول ، الشديد الاهتزاز . والعَسِيل : مكنسة العطار يجمع بها العطر . و — الريشة التي تقلع بها الغالية ، أي أخلاط الطيب . والعَنْسَل : الناقة السريعة (النون زائدة) .

هذا مثل من مئات الأمثال التي يتجلى فيها الاضطراب والتنافر بين فحاوي الألفاظ العربية ، اذ ان المرء الباحث يتحير سائلاً نفسه : أية علاقة معنوية ، يا ترى ، بين العسَل ، هذه المادة الحلوة المذاق ، وما يتفرع من اسم العسَل من الصيغ الارتجالية ، والمداليل المجازية ، وبين الذئب واسراعه في السير ، واهتزاز الرمح ، واضطراب الماء ، والكذب ، والوجوب ، والتعْس ، أو أية لحمة ومناسبة بين الثناء على الصلاح ، والتحبُّب ، وبين خلية النحل ، ومكنسة العطار ، والريشة المستخدمة لقلع الغالية ؟

هذه الحالة هي حالة المعجمية الثلاثية . وقد كانت وما زالت على هـذا المنوال منذ أجيال .

فان استغربتها ، أيها الباحث المحقق ، والمعجمي المدقق ، ونفرت منها نفسك ـ كما نفرت منها نفسي قديماً ، وأنا على مقاعد المدارس ـ وان شق عليك هذا النقصان ، وهذا الخلل والعيب ، فراجع في ذا الشأن اللغويين والمعجميين ، أنصار الثلاثية ، المحافظين عليها محافظتهم على المقدسات بسبيل التقليد . فهم المسؤولون عن ذلك ؛ ومن واجبهم أن يحلوا لك هذا المشكل ، وأن يزيلوا هذه المعايب ، ان استطاعوا ، بثلاثيتهم ، الى ذلك سبيلاً . أما نحن الثنائيين الذين ينظر الينا حضرات هؤلاء الثلاثيين شزراً وحنقاً ، لمخالفتنا ما وجدوا عليه سلفاءهم ، فنقول لك : كن مطمئناً . فان هذا التنافر والتناقض الملازم المعجمية الحالية لا وجود له إلاّ في الظاهر ، ومنشؤه فرضية بدء الاشتقاق من الثلاثية . ودونك كيفية ازالة هذا الخلل بالثنائية .

ان للفظة « عَسَل » ثلاثة ضروب من المفاهيم :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أولاً : الفحاوي الارتجالية من كلمة «العَسَل» أي هـذه المادة السائلة الغليظة الحلوة المذاق التي تعدُّها النحل من عصارة الزهور وتقذفها في نخاريب خلاياها . وقد سمى بعض المعاجم العربية العَسَل : «لعاب النحل» . ومن باب التشبيه أطلق على حَبَاب الماء اذا جرى . والعَسل ، من هذا القبيل ، ليس باسم مشتق من أصل فعلي ، بل ان الأفعال مشتقة ارتجالاً من هذا اسم العين . ولمعانيها علاقة بحلاوة العسل .

ثانياً : هناك المداليل المجازية الناشئة عن حلاوة العسل . كقولك : عسل فلاناً : طيب الثناء عليـه . وعسل اللهُ فلاناً الى الناس : حبَّبه اليهم . والعاسِل : ذو العمل الصالح .

ثالثاً : «عسَلَ» فعل اشتقاقي دال على الاهتزاز ، والسرعة ؛ وعلى الذئب وسرعته ، وعلى التعس ، وعلى مكنسة العطار ـ وهنا ينشأ الاضطراب . ولما رأى ابن فارس ، صاحب «كتاب المقاييس» هذه الحالة ، حالة التنافر المعنوي ، رد الفعل الى أصلين . أولهما يدل على الحلاوة المتصف بها العسل ، وما يتفرع من ذلك . وثانيهما : على الاهتزاز والاضطراب والاسراع . بيد أن هـذا الافتراض لا يزيل ما يظهر للعيان من الاختلال المعنوي .

أما نحن ، فبفضل الثنائية ، نقول ونثبت ان أصل الكلمة واحد ، وان لا اضطراب ولا اختلال في سير مداليلها . ودونك البرهنة .

ان «عسَل» المعدود ثلاثياً في نظر الثلاثيين ليس بثلاثي مجرد ، بل هو «ثنائي متوسَّع ، أو مزيد» ، باضافة اللام تذييلاً . و «الرس الثنائي» الصادر عنه «عسَل» هو «عسْ» المكرَّر في «عَسْعَسْ» ومقلوبه «سَعْسَعْ» أي تكرار «سَعْ» . ومن معانيه : سَعْسَعَ الراعي بالمعزى : دعاها بقوله : «سَعْ سَعْ» حتى تُقبل اليه . كأني به يقول لها : تحركي ، امشي ، اسعي ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أقبلي اليَّ . وسَمْسَعَ الشيخُ : اضطرب جسمه . أي تحرك بشدة . والسُمْسُع : الذئب ، لمشيه بسرعة . وسَمْسَعَ الليل : أدبر وولّى . وفي ذلك حركة وسرعة . ومن الثنائي الخفيف « سَعْ » تفرع « سعى » بمد حركة ثانية . ومدلول « سعى » : مشى وعدا . وفي العدو حركة وسرعة . وتفرع من « سَعْ » كذلك « ساع » الممدود الأول . ومن مداليله : ساعت الإبلُ : تُركت تسرح دون راعٍ .

وكذا الحال في « عَسْعَسْ » وهو ثنائي خفيف مكرَّر . ومن دلالاته : عَسْعَسَ الشيءَ : حرَّكه . و — الليلُ أدبر . و — الذئبُ : طاف بالليل . وتعَسْعَسَ الذئبُ : طلبَ الصيدَ ليلاً . والعَسْعَسُ والعَسْعاسُ : الذئب ، لطوافه في الليل طلباً للصيد . ومن « عَسْ » صدر ، بالتثقيل أو التضعيف ، « عسَّ » . ومدلوله : طاف بالليل . وعسَّت الناقة : رعت ، أي طافت في المرعى وحدها . والعسّاس : الذئب . لأنه يعسُّ ، أي يطوف بالليل . وكذلك قد توسَّع « عَسْ » بمدّ أوله . فجاء منه « عاس » : طاف ليلاً . وعاس الذئب : سعى في طلب شيء يأكله بالليل .

فلنتخطَّ الآن الى « عَسَلَ » . وهو ، كما قلنا ، مزيد في الثنائي « عَسْ » بزيادة اللام تذييلاً . وفيه تطوَّرت متوسعةً مداليل الحركة ، والاهتزاز ، والسير ، والطواف .

« عَسَلَ » المشتق اشتقاقاً فعلياً ، قد انشق من « عَسْ » فجاءت معانيه كما يلي :

عسَل الذئبُ او الفرسُ : هزَّ رأسه واضطرب في عدو . و — الماءُ : اضطرب . و — الدليلُ : أسرع . و — الرمحُ : اشتد اهتزازه . والعاسِل : الذئبُ . و — الرمحُ المهتز . والعَسِل : الرجل الشديد الضرب . وفي الضرب حركة عنيفة . والعَسِيل : مكنسة العطار . و — الريشة المستعملة لقلع الغالية . وفي الكنس والقلع حركة . يقال عَسْلاً لك ، أي تمساً وبعداً . وفي الابعاد حركة عنيفة . وكذا « العَسَل » الذي سُمي في الثلاثية « اسم عين » أي غير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مشتق من أصل فعلي . فهو بالحقيقة مشتق أيضاً . في نظر « الثنائيه » . اذ ما العسل الا مادة سائلة ، حلوة المذاق . فصفة السيلان يدل عليها الرس الثنائي « عس » ومقلوبه « سع » ومكررهما « عسعس وسعسع » والمتفرعات المختلفة « عاس ، وساع ، وسعى » . وفي كلها معنى الحركة الأولي . وهذا المدلول متضمن في الصفة الأولى للعسل ، وهي السيلان . إذ هو مادة سائلة . ومن الصفة الثانيه ، وهي الحلاوة ، نشأت الفحاوي الارتجالية ، الدالة على هذه الخاصية ، حقيقةً ومجازاً ، كما سبق بسطه أعلاه .

فأنتم ترون ، يا محبي اللغة وأنصارها ، أن الثنائية ، مهما طعن فيها خصومها ومناهضوها ، تقف راسخةً ، غير متزعزعة ، ومتجليةً من أنجع الوسائل لاصلاح المعجمية ، بتنظيمها تنظيماً منطقياً ، معقولاً ، مقبولاً . ومن مطاوي البحث يستبين لكل مطالع نزيه ، وذي ذوق سليم ، ان الاشتقاق ، على مثال الشجرة ، متوقف على البزر المزروع كحبة الخردل التي تلقى في الأرض ؛ وبالتدريج ، اي بالتوسع والتفرع ، تصبح شجرة عظيمة ، تستظل في أغصانها طيور السماء ؛ وان التوسع ليس بقائم على البدء بالكثرة والاطالة ، فيعقبها بعدئذ الاختزال . كما ان الشجرة لا تشرع في ان تكون دوحة باسقة ؛ ويوماً بعد يوم تتقلص ، فتصفر ، فتتحول ، خلافاً لسنن الطبيعة ، من دوحة الى شجيرة ، ثم الى بجلة ، ثم الى نبتة ، ثم الى بزرة .

ولذا لا يمكن القول بان بدء الاشتقاق كان بالثلاثيات ، من مثل : « قطع ، زلق ، كدح ، بتر ، زحل » . ثم تقدم وتوسع . فأصبحت هذه الأفعال الثلاثية : « قط ، زل ، كد ، بت ، زح » . فالطبيعة تنفر من هذا الأسلوب الخيالي ، المتعسف ، لأن الحقيقة تثبت ان « قط ، وزل ، وكد ، وبت ، وزح » وأشباهها هي الرساس الأولية ، وان « قطع ، وزلق ، وكدح ، وبتر ، وزحل »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وامثالها ، قد تفرعت عنها بالزيادة [1] . وبعبارة أخرى : ان الثنائية هي الأصل ، والثلاثية ، فرعها . وهذا الناموس ، ناموس التفرع والتوسّع ، موجود في الطبيعة عينها ، وفي البشر أنفسهم ، فان الانسان لا يولد كهلاً ، فيتطور متناقصاً الى أن يصبح طفلاً . بل يولد طفلاً ، فينمو وينشو مترعرعاً الى ان يصل الى كمال الرجولة .

أما الاختزال الوارد في بعض الأصول والألفاظ ، فهو ناجم عن كثرة الاستعمال والتداول ، وعن ضعف أعضاء النطق ، وتأثير البيئات الاجتماعية ، الى ما هناك من العوارض ، والآفات الملازمة كل ما هو بشري ومخلوق . وهو ليس من طور التكون والارتقاء ، بل من طور الوهن ، والضمور ، والانحطاط . وهذا الناموس شامل سائر اللغات . وكما أن البحث عن أصل الشجرة لا يقوم على التفتيش عن سيقانها وأغصانها الظاهرة لعيون الناظرين ، بل على الحفر والتعميق ، للوصول الى جذورها وعروقها الخفية الغائرة في الأرض ، كذلك لا يسوغ بك الاشتقاق بالصيغة الثلاثية ، بل من الواجب التنقيب والتقصي ، للوقوع على « الرساس الثنائية » وجعلها مبدأ الاشتقاق الطبيعي المعقول . وهذه هي الطريقة التي اتبعناها في تآليفنا المنشورة بالطبع ، وفي مقالاتنا المختلفة ، وفي هذا المقال ، كما في سائر معجمنا « الثنائي » . وقد راقت أرباب العلم الحقيقي من العصريين ، في الشرق ، ولا سيما في الغرب .

ب — أذن

منشأ اشتقاق هذه المادة من « دَنْ » الثنائي الخفيف ، ومثقله « دنّ » ، ومكرّره « دَنْدَنْ » وفي كلها دلالة على صوت الذباب . ومبدل « دَنْ ودنْدَنْ » هو « طَنْ ، وطَنْطَنْ » بالتفخيم .

وقد توسّع « دَنْ » الثنائي بزيادة الهمزة تتويجاً ، فأضحى الثلاثي « أذن »

(١) راجع مقالة للأستاذ للفرد عنوانها : « بعض أسرار اللغة العربية » منشورة في هذه المجلة الجزء ٢ المجلد ٢٨ . ص ١٨١ — ١٨٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وغير خافٍ أن الدال والذال تتعاقبان . مثلاً « دلّى وذلّى . تدأدأ وتذأذأ . ودر ، وذر » . ومن صوت الدَّنْدَنَة . اشتقت الآلة التي يسمع بها الصوت وهي « الأذن » . ومن « الأذن » ارتجلت المشتقات التالية . وفي سائرها معنى السماع والاسماع للصوت ، حقيقةً ومجازاً .

أَذَن فلاناً : أصاب أذنه . و — الصبيَّ : عرك أذنه ونقرها . و — الثمامُ : خرجت خوصته ، وهي تشبه الأذن . أذِن الرجلُ : شكا أذنه . وأذِن للهو : استمع اليه . و — بالأمر : علم به ، أي أدركه بسمعه اياه . و — لرائحة الطعام ، أو لحديث فلان : اذا اشتهاه ، أي أحبه بعد معرفته اياه بالسماع . و — له في الشيء : أباحه له ، أي ألقى في أذنه ما يرضيه . و — له عليه : نال له منه الإذن ، أي السماح المبلّغ عن طريق الاذن .

آذن العشبُ : اذا بدأ يجف . فبعضه رطب ، وبعضه يابس . فكأن الجزء اليابس يخبر أو يسمع بقرب يبوسة الجزء الرطب . و — النعلُ وغيرها جُعلَ لها أذناً . وهو ما أطاف منها بالقِبال . وهو ما يشبه الاذن . وآذنه : أصاب أذنه . و — زبداً : منعه وردَه . لأن المنع يتم بالكلام المسموع بالأذن . و — المؤذن بالصلاة : نادى اليها ، وأعلم بها . وذلك بايصال صوته الى آذان المدعوين الى أدائها .

أذَّن فلاناً : عرك أذنه . (والبقية كما في آذن) — تأذَّن : أقسَم : لأن القسَم يجري بالصوت ليسمعه الغير . و — الأميرُ في الناس : اذا نادى فيهم ناهيًا مهدداً . استأذن في كذا : طلب الإذن ، أي الرخصة . الأُذْن والأُذُن : آلة السمع . ومن باب المجاز : المقبض والعروة من كل شيء . كأُذن الكوز ، والدلو ، على التشبيه . و — بطانة الرجل ، لاتصاله به اتصال الأذن ، كأنه يسمع بواسطته .

الإذْن : العلم ، والارادة ، والاجازة . وكل ذلك يتم بالسماع ، أو الاسماع عن طريق الأُذُن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأَذَنة : خوصة الثمام الشبيهة بالاذن . و — الشهوة أو الميل الى الطعام ميلَ الأذن الى السمع . و — واحدة الأَذَن ، وهو التِبن . و — صغار الإبل والغنم . على التشبيه بخوصة الثمام ، وهي ذاتها تجانس الاذن . — الأذين : المؤذن ، والكفيل ، والزعيم ، والحاجب . وكلها من معنى السمع والإصغاء .

نظائر الأذن في الألسن السامية . في السريانية ednâ . وفي الارمية ûdnâ . وفي العبرية ôzèn : اذن ، عروة . ومنه âzan و heezin : نصب أذنيه ، أصغى . وفي الحبشية 'ezen أذْن . و ma'zen : طرف . حافة . قمة . وفي الاكدية uznu : اذن ، عروة . والدال العربية تقلب زاء في الاكدية ، والعبرية والحبشية .

على انه يحتمل ، بناءً على أصول الاكدية ، والعبرية والحبشية ، ان اشتقاق « اذن » الثلاثي من فكرة الارتفاع والحدة والتسنن . وهذه هي هيئة الاذن ، وخاصة في الحيوانات . بيد انها لا تنافي الفكرة المتضمنة في الرساس الثنائية في العربية ، وهي « دَنْ ، ودَنّ ، ودندن » الدالة على صوت الذباب . لأن من طبع الأصوات أن تكون عادةً ، عالية وحادة .

ت — أرض

هذه المادة سامية ، لوجودها في كل الساميات ، ما خلا الحبشية ، الوارد فيها كلمة Meder الناظرة الى لفظة « مَدَر » العربية ، أي التراب المتلبد ، أو الطين اليابس . ففي الاكدية تلفي ersîtu . وفي العبرية èrès . وفي الفينيقية والموآبية aras . وفي الأُغاريتية 'ars وفي الارمية : « أرَعْ » وفي السريانية « أرْعا » وفي السبئية : « أرض » . وفي عامة هذه الألسن ، ليس من جذر فعلي يصدر عنه اسم « الأرض » .

هذا والحرف الأخير من اسم « أرْض » يختلف حسب اختلاف اللغات . ففي السبئية والعربية يلفظ « ضاداً » . وفي الارمية والسريانية « عيناً » . وفي بقية الساميات « صاداً » . وهذا التباين في لفظ الحرف المذكور سابق ظهوره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الرساس الثنائية المشتقة منها الثلاثيات ، بزيادة الهمزة تتويجاً . فالرس الثنائي الخفيف هو في العربية «رَضْ» وفي الارمية والسريانية «رَعْ» وفي البقية «رَصْ» وجميعها تطلق على الدق ، والجرش ، والفتّ . مما هو خاص بالتراب المركبة منه الأرض . وبالدق يتلبد ويقوى ، فيصبح صلباً ، يابساً ، مسطحاً ، ثقيلاً . ومن كلمة «الارض» ، اسم العين ، قد نجم في العربية الفعل المشتق ارتجالاً ، والمختلف المعاني ، حسب أوزانه ومزيداته . وهي أرَض . أرِض . أرُض . أرِض . ثم أرَّض . آرض . تأرَّض . استأرض .

فالوزن الثلاثي ناشئ من الثنائي «رَضْ» ومثقله «رضّ» ومكرره «رَضْرَض» و «تَرَضْرَض» تحرك ، ارتج ، تكسر . ثم متوسعه «راض» : ذلّل ، واضع ، سفّل ومزيده «روّض» جعله روضة . والروضة من البقل والعشب مستنقع الماء ، قيل لها ذلك لاستراضة الماء فيها . واستراض المكان : اتسع وكثرت رياضه ، فطابت النفس فيه . والرَوض : أرض مخضرة بأنواع النبات . وبعد هذا يسهل تعليل معاني الثلاثي .

الأرض : التراب . الثرى . اليابسة . البسيطة . الغبراء . البر . الكرة الأرضية . القارة . القطر . البلد . وكل شيء يسفل ويقابل السماء . . و — ما استقرت عليه قدماك . و — الزكام . و — الرعدة . و — الدوار .

كل هذه الفحاوي من الهين ادراكها وادراك فروقها حين الوقوف على اللحمة المعنوية بين الثنائي «رضْ» ومتفرعاته «رَضّ ، وراض ، وروّض» كالظاهر مما سبق وما يلحق من المشتقات . يقال «أرض النعل» ما أصاب الأرض منها . «وفرسٌ بعيدٌ ما بين أرضه وسمائه» . اذا كان نهداً أي جسيماً ، لحيماً ، مشرفاً . و «أرض الانسان» : ركبتاه وما يليهما . «ومن أطاعني كنتُ له أرْضاً» أي متواضعاً . ومن الأمثال : «آمن من الأرض» . «واجمع واشد وأذل من الأرض» . «وابن أرض» : غريب لا يعرف له أبٌ ولا أم . أرِضت الخشبة وأُرِضت : وقعت فيها الأرَضَة ، فأكلتها . والأرَضَة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

دويبة تأكل الخشب . وهي آفة كل نبات . اشتقاقها من « رَضْ » الدال على الجرش والقرض .

أرَضَت الأرضُ : زكت ونما نباتها . و — القرحة : مجلت وفسدت بالمدة . وأرُض الرجل : أقام على الإراض . وهو بساط ضخم من صوف أو وبر . وسمي بذلك لأنه يلي الأرض . أرُض الرجلُ : أصابه الزكام . وهو رشح فضلات رطبة ومائية من الأنف . وآرضه اللهُ : أزكمه . و — الطبيبُ : داواه . ومعنى آرضه هنا : للسلب أي للإبراء من الأرْض ، وهو الزكام . — وأرَّض الكلام : شذَّبه وهذبه وهيأه . وأرَّض الصومَ : تهيأ له بالنية . و — الشيءَ : أصلحه . و — لبّث . و — ثقل . و — فلانٌ : رعى الكلأ .

تأرَّض النبت : تمكن من أن يجَزّ . و — تثاقل الى الأرض . استأرض : أقام فلبث بالمكان . و — السحابُ : امتد . و — الفسيلُ : صار له عرق في الأرض .

الأريض : الذكي . وجَدْي أريض : سمين .

المأروض المزكوم . و — الخشب الذي أكلته الأرَضة . والمؤرِّض : الذي يرعى كلأ الأرض .

الظاهر بجلاء من كل هذه الفحاوي المتضمنة في مادة « أرض » انها ناجمة بتساوق ، أولاً عن الثنائي « رَضْ » ومكرره « رَضرَضْ » ثم بنوع خاص من المتوسّع « راض » ومزيده « روّض » ومنه الروض والروضة . وفي كل هذه سائدة فكرة الرضّ الدالة على طبيعة الأرض . ثم على فكرة الرطوبة والمائية المتصفة بها الرياض . ثم فكرة الخضرة والعشب . ثم فكرة الغزارة والخصب . ثم فكرة الرفاه . ومن ثم فكرة الاقامة ، والتهيئة والاصلاح .

(يتبع) مرمرجي الدومنكي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net